مشروع أسلمة المعرفة عند: محمود البستاني
(تأملات في المنطلق ... وانتقادات في التصور)

The project of the knowledge Islamization at: « Mahmud al-Bustani » (reflections on premise…and criticism in perception)

د.مولاي ناجم[1]، علي قربون[2]
[1]جامعة الأغواط(الجزائر)، moulaynadjem@gmail.com
[2]جامعة الأغواط (الجزائر)، a.karboune@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2019/06/12 تاريخ القبول: 2019/06/15 تاريخ النشر: 2020/02/08

ملخص:
لقد شهد العالم الاسلامي في الآونة الأخيرة موجة هائلة من الوعي الإسلامي ساهمت في التحرير الذاتي لبعض جوانب هذه الأمة خصوصاً على الصعيد السياسي والاقتصادي، وهذا راجع للارتكاز على دراسة مجالات معينة مثل مجال: (مقارنة الأديان، الإصلاح التربوي والتعليمي. الشيء الذي جعل نخبة من كبار الشخصيات الإسلامية تؤكد أنّ آن الأوان لكي يتبرأ الإسلام من الطرائق السطحية في النهوض، وليؤكدوا أن هذا النهوض لا يتم إلا بالإصلاح الفكري الذي ينطلق من إصلاح التعليم، ومنطلق ذلك كلّ هو التوحيد كمبدأ يسع الكون في أبعاده، بل يحتوي الكون كلّ. ومن بينهم الباحثين الذين دافعوا عن تلك الفكرة من داخل العالم الإسلامي أو من خارج نجد: المفكر والشاعر العراقي "محمود البستاني"، الذي سعى لإثبات أهلية أسلمة المعارف الإنسانية في حل المشكلات الاجتماعية لإنسان عالم اليوم. واقتصر البحث في مقدمتهٔ هنا على الراحل العراقي "محمود البستاني" لاعتبارات خاصة تندرج في التقرب من مشروع أسلمة المعرفة في خطاب المفكر، ومن أجل الوقوف على رهانات هذا الخطاب وأهم الانتقادات التي قدمت لهٔ.
كلمات مفتا ٔية: أسلمة، معرفة، إسلامية، نظام، شمول.

Abstract:
The Islamic world has recently witnessed a huge wave of Islamic awareness that has contributed in self-liberation of some aspects of the community (Ummah), especially in the political and economic sides, this has led great Islamic personalities confirm that it is time for Islam to renounce the superficial methods for the advancement, and they also confirm that this advancement will not be confirmed except through the intellectual reforming which starts from the educational reforming. We could say that the monotheism is the starting point of

المؤلف المرسل: مولاي ناجم، الإيميل: moulaynadjem@gmail.com

all, which is the basic principle including the universe in its dimensions, if not including the universe entire. Among the researchers who defended this idea inside or outside the Islamic world, we find: The Iradi intellectual and poet « Mahmud al-bustani »who tried to prove the eligibility of the Islamization of human knowledge in order to solve the social problems of man of today's world. The research in its introduction is limited to the Iradi passed away « Mahmud al-bustani » for specific considerations which came close to the project of the knowledge Islamization in the speech of the thinker of course , and in order to stand at the bets of this speech and the most important criticisms addressed to him.

Keywords: Islamization, knowledge, Islam, system, universalization.

مقدمة:

تعتبر ثورات الاتصال والمواصلات والتقنيات التي مست عالم الإنسان اليوم، من أهم التغيرات التي جعلت العالم سريع التطور، بل والتدهور في كثيرا من الأحيان؛ حيث أخرجت الإنسان بدورها من عبوديته لله إلى عبوديته للإنسان، بل أكثر من ذلك إلى عبوديته للتقنية. مما أوجب أعادة النظر في عقيدة الإنسان كليةً (يهودية، مسيحية، إسلامية)، لرسم طريق أو نهج تكون عليه المعرفة الإنسانية اليوم أكثر تطوراً و أقل تدهوراً خصوصاً في مجال العلوم الإنسانية أو الاجتماعية كما أختار أن يسميها البعض.

ونظراً لما عاشته المجتمعات العالمية شرقاً وغرباً ولا زالت تعانيه نتيجة هذه التغيرات التي فرضتها مركزية المعرفة الغربية، جعلت بعض الباحثين يُعلقون آمالاً كبيرة على تجديد رؤى إسلامية في المعارف الإنسانية تساهم في إعادة تشكيل العقل المسلم من جهة، ومن جهة أخرى ليكون لهذه الأمة دوراً في معالجة أزمتها الفكرية ومشاركتها في معالجة الأزمة الفكرية العالمية، من خلال السعي الدؤوب لمعالجة أزمة المعرفة والمنهج والوصول إلى الحقيقية كمشترك إنساني مجرد عن كل ما هو تطرف أو إرهاب.

ومن بين الباحثين الذين دافعوا عن تلك الفكرة من داخل العالم الإسلامي أو من خارجه نجد: (الباحث الماليزي "نقيب العطاس"، والمفكر السوداني "أبو القاسم حاج حمد"، والفيلسوف والمفكر الفلسطيني "اسماعيل راجي الفاروقي" والمفكر والشاعر العراقي "محمود البستاني")، لإثبات أهلية "أسلمة المعارف الإنسانية" في حل المشكلات الاجتماعية لإنسان عالم اليوم.

واقتصر البحث في مقدمته هنا على الراحل العراقي "محمود البستاني" لاعتبارات خاصة تندرج في ابداعه وتميزه في تناول إشكالية "أسلمة المعرفة" في الخطاب الإسلامي المعاصر، من أجل الوقوف على رهانات هذا الخطاب وأهم الانتقادات التي قدمت له.

ومنه تأتي أوراق هاته المداخلة بعنوان: مشروع أسلمة المعرفة عند: محمود البستاني (تأملات في المنطلق...وانتقادات في التصور) لتجيب على جملة من التساؤلات أهمها:

-ما معنى "أسلمة المعرفة"، أو "اسلامية المعرفة"؟ وإين تتجلى أهميتها؟

-ما حقيقة مسار "إسلامية المعرفة"؟

-أين تكمن منطلقات "أسلمة المعرفة" في فكر محمود البستاني؟ وما هي الانتقادات التي يمكن أن توجه لها؟

المصطلحين المؤيد والمعارض:

إذا كنا قد حددنا عنوان هذه المداخلة بـ: **مشروع أسلمة المعرفة عند: محمود البستاني (تأملات في المنطلق...وانتقادات في التصور)**، فإن الاشتغال بهذا العنوان يتطلب منا أن نحدد في البداية مصطلحاته الأساسية والتي التزمنا في تحديدها بمصطلح وحيد وأساسي لضرورة تداوله في مقدمة هذه المداخلة؛ و هو مصطلح "أسلمة المعرفة" أو "إسلامية المعرفة"، فما المقصود به إذن؟

لا نكاد في البداية نقف عند مفهوم موحد "لأسلمة المعرفة" أو "إسلامية المعرفة"، بل نجد مفاهيم قد تعددت باختلاف مواقف أصحابها اتجاه قضية مشروع أسلمة المعرفة بين مدافع عنها وداحض لها.

1- مفهوم الأسلمة عند المدافعين:

سنقف هنا عند تعريف كلا من **"إسماعيل راجي الفاروقي" و"محمد أبو القاسم حاج ا حمد" و"طه جابر العلواني" و"محمودالبستاني"**، لاعتبارات خاصة ترجع للمكانة الفكرية والسياسية التي حظوا بها في الدفاع عن قضية "أسلمة المعرفة"، ولأن مفهوم "أسلمة المعرفة" عندهم يجعل المرء يستبعد ذلك الصراع بين المعارف المستقاة من الوحي والمعارف المستقاة من الوجود و أفضلية معرفة عن أخرى:

أ- ولقد عرفها "إسماعيل راجي الفاروقي":

بقوله: «إعادة صاغية المعرفة على أساس علاقة الإسلام بها، أي إعادة تعريف المعلومات وتنسيقها وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتحصل عليها، وأن يقوم من أنتهى إليه من استنتاجات وأن يعاد تحدد الأهداف على أن يتم ذلك في إمكانات جعل تلك العلوم تثري التصور الإسلامي وتخدم قصة الإسلام، وأعي بها وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة ووحدة الإنسانية ووحدة الحياة والطبيعة الغائية للخلق وتسخير الكون للإنسان، وإدراك الحقيقة وتنظيمها»[1]. ومن هذا القول يتضح هدف الدعوة -التي ستنساق من وراء التصورات- الداعية إلى قضية أسلمة المعارف.

ب- أما "محمد أبو القاسم ناجم":

يرى أنها «تعني فك الارتباط بين الانجاز العلمي الحضاري البشري، والاحالات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة، وإعادة توظيف هذه العلوم ضمن ناظم منهجي ومعرفي ديني- غير وضعي»[2]. فالباحث يتعدى في تحديده لمفهوم أسلمة المعرفة أضافة عبارة أسلمة لمباحث العلوم، كما ينتقل بالتحديد من مستواه النظري إلى مستواه التطبيقي ليصل إلى أن أسلمة العلوم التطبيقية وقواعدها العلمية تقوم بفهم قوانين الطبيعة والوجود المركبة على أساس ما هو قيم دينية بالأساس.

ت- و"طه جابر العلواني":

يرى أنها « رؤية منهجية معرفية وليست حقلاً علمياً دراسياً، أو تخصصاً أو إيديولوجية أو نحلة جديدة، ولذلك فهي تسعى دائماً في قضايا المعرفة والمنهج إلى التجدد والتبلور واكتشاف الذات والواقع وعدم التقوقع أو الوقوف عند مرحلة زمنية معينة أو مقولات وتحديدات ثابتة، فهي تدرك فعل الزمان في الأفكار وأثر المراحل التاريخية في تجدد الفكرة وانضاجها ونموها واكتمالها»[3]. فالباحث أرد بقوله "رؤية" خاصة أنها تنبثق من الإسلام عن الانسان والكون والحياة وتجيب عن جميع الأسئلة المتعلقة بالوجود والقيم والمعرفة، وبقوله "منهجية" ينبثق عنها نظام معرفي إسلامي لـ إجراءاته ومبادئه الخاصة. أما قوله "معرفية" لاعتبار محدد يرسم النهج أو الطريق الذي ستكون عليه العلوم الانسانية أو الاجتماعية في عالمنا اليوم.

وهذا التعريف في دلالته المعنوية قريب جداً من تعريف آخر نجده عند الباحث "عماد الدين خليل" الذي فهم إسلامية المعرفة بأنها «ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلام للكون وللإنسان والحياة»([4].

ث- و"محمود البستاني":

لقد حدد مفهوماً متجدداً "لأسلمة المعرفة" من خلال إجابته على التساؤل المتضمن: كيفية توظيف أو استثمار المعارف أو العلوم في تحقيق العمل العبادي؟ وهذا ما يقود حسبه إلى سؤال آخر عن حجم "المعرفة البشرية" قبالة "المعرفة الإسلامية"-أي المبادئ التي رسمتها السماء للسلوك-؟ ومن هنا حدد مصطلح المعرفة الإسلامية بأنها: «المبادئ التي رسمتها السماء، ملتحمة مع المبادئ البشرية في نمطها المجمل والنسبي اللذين يهتديان إلى المعرفة الصائبة لحقائق السلوك، وما عداهما يظل معرفة غير إسلامية بطبيعة الحال»[5].

2- مفهوم الأسلمة عند المناوئين:

سنقف هنا عند تعريف كلا من **"علي ﷺرب" و"محمد سعيد رمضان البوطي" و"برهان غليون"**، لاعتبارات خاصة ترجع للمواقف الرافضة لمشروع "أسلمة المعرفة" نتيجة الاستشراف المبدأي حولﷺ، و لأن مفهوم "أسلمة المعرفة" عندهم يجعل المرء يستعيد ذلك الصراع بين المعارف المستقاة من الوحي والمعارف المستقاة من الوجود، أو بصيغة أخرى بين المعارف المستقاة من النقل والمعارف المستقاة من العقل؛ مما يفرض أفضلية معرفة عن أخرى.

أ- ولقد فهم "على ﷺرب":

إن "أسلمة المعرفة" هي «ردة فعل عقائدية على التفوق المعرفي الغربي، وتغليب لعقل الدعوة والنضال على لغة الفهم والمعرفة، وأنها تعني أن هناك منظومات معرفية تخ ﷺ المسلمين وحدهم وربط ذلك بمماثلات القول حول "الحاكمية الإلهية"، و"نظرية الاستخلاف" وأن مقولة الأسلمة تصنيف للعلوم والمعارف على أساس ديني وربما يتعارض مع تصنيفات العالم للعلوم طبقاً لمجالاتها بل ربما يتعارض مع تصنيفات العرب الأوائل للعلوم بين عقلي ونقلي وبرهاني وعرفاني»[6]. والناقد هنا يؤكد لنا أن جل الجهود التي عرفها مجال "أسلمة المعرفة" لم يخرج عن دائرة الدهشة الروحية التي لم تقدم أدنى أعانة في تجاوز للمشكلات المعرفية والحضارية التي لا زال يعاني منها الاجتماع الإنساني تحت طائلة قومية المعرفة أو سلطتها القائمة على مبدأ "الحاكمية الإلهية" أو "الاستخلاف"، التي قد تزيد من سعة الفجوة بين الشرق والغرب، أو بين القدماء والحداثيين الشرقين ذاتهم مع تضييق حرية التفكير.

ب- أما "محمد سعيد رمضان البوطي":

يرى أن التعبير بـ"أسلمة المعرفة" «يوحي بفرض تحيز ما على النشاط المعرفي للفكر، وهو ما تنأى عنﷺ طبيعة منهج المعرفة من حيث هو»[7]. فالراحل هنا يؤكد على أن منهج المعرفة لا ينضبط بالدين أو بأي اعتبار آخر، وإلا وجدنا أنفسنا أمام تساؤل آخر مفاده هل: **هناك معرفة إسلامية وأخرى يهودية ومسيحية...؟**

مما يستوجب إعادة النظر في التسمية بحد ذاتها، من خلال منهج بحثي أكثر تركيبية كما فعل ذلك الراحل "عبد الوهاب المسيري" قبل وفاتﷺ حيث أطلق تسمية بديلة عن "أسلمة المعرفة" سماه **"توليد المعرفة الإسلامية"** من "النموذج الإسلامي" أو "المرجعية الإسلامية"[8].

ت-أمابرهان غليون":

فيرى إن "إسلامية المعرفة" إذا كانت تعني «تخصيﷺ العلم و "قومنة العالمي" ورفض ما هو مشترك بين البشر، بصرف النظر عن أديانهم وحضارتهم، فلن تساهم أبداً في تطوير العلم

والتجربة العلمية»[9]. فالباحث أراد التأكيد بقول هذا على أن قيام العلم على "رؤية قومية" لن يحرر المعرفة –كقاسم مشترك بين بني البشر- من العامل الذاتي، مع العلم أن الناجز من المعارف على أساس هذا العامل سيؤدي لمحدودية طاقة هات العلوم البحثية لا سيما في مجال العلوم الإنسانية أو الاجتماعية، لأن المعرفة حسب ينبغي أن تكون رؤية ذاتية جماعية.

ومن الإجابة الأولية على معنى "أسلمة المعرفة" أو "إسلامية المعرفة" وإن تراوحت دلالت بين الرافض والمؤيد لها نصل إلى إن كلا الموقفين يؤكد على وجود علاقة بين العلم و الدين - أو المعتقد- الذي هو أساس حياة الفرد والمجتمع و الدولة، سواء كان لهذا أثر سلبي أو إيجابي.

أهمية أسلمة المعرفة:

إن البعد عن" أسلمة المعرفة" هو بعد في حقيقت على المعرفة السليمة الرشيدة الهادفة إلى معرفة التوحيد و الاستخلاف والأمانة والشهود الحضاري[10]. كما أن "إسلامية المعرفة" تمثل الجانب الفكري و المعرفي من الإسلام القائم على الجمع بين قراءتين: قراءة الوحي من جهة، وقراءة الكون من جهة ثانية. فعدم الجمع بين هاتين القراءتين يجعل الإنسان عاجزاً عن إيجاد وتحقيق المعرفة الحضارية الشاملة، مع عدم تمكن من القيام بمهمة الاستخلاف وأداء الأمانة وتحقيق العمران التي خُلق لتحققها.

من هنا كانت "إسلامية المعرفة" ضرورة معرفية وضرورة حضارية للخروج من المأزق المعرفي المعاصر والأزمة الفكرة العالمية المعاصرة، خصوصاً بعد فشل النهج الماركسي في تقديم إجابات عن معظم الأسئلة النهائية من خلال المادية الجدلية التي قدمها للحضارة الغربية[11]. ليبقى المجال مفتوحاً أمام النهج الإسلامي لتقديم بديل معرفي ومنهجي للحضارة الغربية خاصة، والإنسانية بصفة عامة للإجابة عن تلك الأسئلة الكلية.

وتزداد خطورة البعد عن "إسلامية المعرفة" من جراء الفصام القائم في المناهج التربوية والنظم التعلمية بين علوم الدين والعلوم الكونية. فالبشرية لم تتوصل «بعد في معارفها الحديثة إلى الصيغة التي تؤهل الطالب ليجمع بين العلمين في إطار واحد، ومبعث ذلك أن الحضارة البشرية ارتضت المناهج الغربية في الفصل بين العلوم، فطالب الوحي يذهب إلى كليات اللاهوت، وطالب العلوم الكونية ذهب إلى كليات العلوم التطبيقية. وفي البلاد الإسلامية نجد الفصل قائماً كذلك بين كليات الشريعة وأصول الدين من ناحية، وكلية العلوم الحديثة والعلوم الاجتماعية والانسانية و التطبيقية من جهة أخرى؛ تأثر بسادة المركزية الغربية وبسطها سلطانها على شعوب المعمورة»[12].

إن أضرار الفصام قد انعكست على الحياة الإنسانية عامة، وعلى حياة المجتمعات الإسلامية خاصة، إذ باعدت بين العلوم الشرعية أو النقلية والعلوم الإنسانية والاجتماعية؛ مخلفة نظرة أحادية وفق القراءة الكونية الوضعية فقط، الشيء الذي كرس مبدأ التصارع بين قيم اللاهوت والقيم الوضعية كمبدأ متطرف.

وتتجلى "أهمية إسلامية المعرفة" أيضاً من خلال الأهداف والمقاصد التي تسعى "الأسلمة" لتحقيقها كما سيتضح لنا من خلال جملة النقاط التالية:

- إعادة الربط بين المعرفة و العلم والقيم بعد أن أستلبتﷺ الوضعية المنطقية ذلك.
- التفاعل بين القراءتين وذلك بإرجاع العلوم الطبيعية والاجتماعية إلى فلسفة واحدة تندمج وتتفاعل مع قراءة الوحي إلى جانب القراءة المنطقية الوضعية.
- حل إشكاليات النهايات الفلسفية الجامدة التي سقطت فيها المعرفة الغربية(نهاية التاريخ، نهاية الليبرالية، نهاية العالم...)، ولأنها تجاهلت الوحي فشلت في الاجابة عن السؤال: ماهي غاية هذا الكون، وإين تقع نهايتﷺ؟[13].

أسلمة المعرفة (المهمة، والمسار):

في البدء سنختار الحديث عن مهمة "إسلامية المعرفة"، حتى تتجلى المهام الأساسية لكل مسار من المسارات التي ستسلكها فيما بعد من خلال إدراكنا لما هو ثابت ومتغير في مجال تبيئة المعارف الخارجة عن حقلنا الفكري:

1- مهمة إسلامية المعرفة:

يعتقد الكثير من الباحثين أنﷺ لا يستطيع القيام بمهمة "إسلامية المعرفة" إلا من أوتي القرآن وحظاً وافراً من العلوم والمعارف الاجتماعية والانسانية المعاصرة والمتوارثة بشكل كاف لاستكشاف ذلك التداخل المنهجي بين القرآن والكون والإنسان إذا أردنا أن نوظف المعارف والعلوم واكتشافاتها توظيفاً منهجياً لا يفصم العلاقة بين الخالق والكون والإنسان من منطلق الجمع بين القراءتين-أي قراءة الكون أو الواقع وقراءة الوحي-، وتتضح مهمة "إسلامية المعرفة" أكثر إذا طالعنا المحاور الستة التي رسمها "طﷺ جابر العلواني" لإنجاز هذه المهمة والمتمثلة في[14]:

1. **بناء النظام المعرفي الإسلامي:** يعنيبناء رؤية "إسلامية المعرفة" على أساس العقيدة الإسلامية والجمع بين القراءتين من خلال تفعيل قواعدها لتشكيل نماج معرفية في مختلف العلوم الاجتماعية والتطبيقية مع الاستفادة من النماذج المعرفة التي سادت التراث والنماذج المعرفية التي طورها الفكر الغربي أو الإنسان المعاصر.

2. **بناء المنهجية المعرفية القرآنية:** يعنيإعادة بناء العقل المسلم على المنهجية المعرفية القرآنية النابعة من النظام المعرفي الإسلامي ضرورة ملحة نظراً لخلل المنهجي الذي أسفرت عليه المناهج المتبعة والمبنية على عقائد أو أفكار أخرى.

3. **بناء منهج التعامل مع القرآن العظيم:** يعني إعادة بناء وتركيب علوم القرآن المطلوبة لهذا الغرض. مما سيعود على هاته العلوم الاجتماعية والطبيعية بالفوائد التي تجعلها قادرة على إمداد الحياة الإنسانية بما يخرجها من أزماتها.
4. **بناء مناهج التعامل مع السنة النبوية المطهرة:** باعتباره السنة هي المصدر التفسيري البياني الملزم الوحيد للذ القرآني، فحقيقة دورها من خلال تلك الرؤية المنهجية ضروري لفهم فقه تنزيل قيم الذ القرآني على الواقع كذ جاء ليكمل النصوص التي سبقته لا لنفيها.
5. **قراءة التراث الإسلامي قراءة سليمة:** يعني قراءة التراث قراءة نقدية تحرجنا من الدوائر الثلاث التي لا زالت تحكم قراءتنا التراثية إلى اليوم: (دائرة الرفض، دائرة القبول المطلق، دائرة التلفيق والانتقاء العشوائي) لتوظيفه معارفه فيما يفيد الإنسانية.
6. **بناء منهج التعامل مع التراث الغربي:** ما يعني قراءته قراءة تتحرر من قراءة الدوائر الثلاث التي حكمت قراءة تراثنا للأسف ولازالت تحكم أغلب قراءتنا للتراث الغير الإسلامي أيضاً مما لا يجعلنا نستفيد منها في حل أزمتنا الفكرية والحضارية وندرك أثر الفوارق الحضارة والثقافية على المعرفة الإنسانية بعيدا عن إطار التقليد والنقل، وإيجاد فضاء للعيش المشترك معرفيا وقيميا.

ومن هنا تتضح لنا أن المهمة التي دعى إليها أنصار "مدرسة إسلامية المعرفة" بمن فيهم الباحث "طه حابر العلواني" مهمة عالمية تبحث للإنسانية عن مخرج من أزماتها الحالية، وإن تصورها البعض في إطار الخصوصية الجغرافية والبشرية والإسلامية. فهي تطرح مقدمة منهجية معرفية لبديل حضاري عالمي يستهدف إنقاذ العالم كله، لكن لن يتأتى هذا إلا من خلال قراءة جديدة للقرآن الكريم من منظور عالمي يدرك البعد الكون بمعناه الغيبي في تركيب الوجود ومصيره. هذه باختصار مهمة "إسلامية المعرفة" في إطارها الفلسفي المعرفي، وتلك هي صلتها بالوحي وبالكون.

2- <u>مسار إسلامية المعرفة (النشأة والتطور):</u>

لقد اختلفت أراء المؤرخين حول نشأة "إسلامية المعرفة" فمنهم من أرجعها إلى النبي إبراهيم –عليه السلام- باعتبار مرحلته تمثل الجانب الفكري من الإسلام الذي بدأ بأبي الأنبياء وتكامل على يد خاتم الأنبياء، النبي محمد –صلى الله عليه وسلم-، فيما حددها آخر بظهور الإسلام باعتبار القرآن هو أول كتاب عرض لقضية "إسلامية المعرفة". فحين نجد موقف ثالث أعاد بذرتها الأولى

إلى القرن التاسع عشر الميلادي لاعتبار وحيد مفاده أن الاتجاه المعرفي الجديد–والذي لم يكن موجود لحظة ميلاد الإسلام- يسعى لاستيعاب المعارف الغربية الحديثة وإعادة بناؤها بما ينسجم مع متطلبات المسلم المعاصر الذي لمح تراجع مجتمعه الحضاري والمعرفي نتيجة تعرفه على علوم الغرب ومكتشفاته والسبب في ذلك يعود لوقوع معظم البلاد العربية الإسلامية تحت وطأة الاستعمار مع تنامي الحركات التحررية سياسياً وفكرياً واقتصادياً والتي نلمسها بحدة أكثر في شعارات تيار اليقظة الإسلامية.

لكن الأمر تجاوز مرحلة الشعارات ليرتفع إلى مشروع منهجي طموح -أتخذ من "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" مركز للانطلاق والعمل- سبقته أعمال أخرى منها تأسيس "جمعية علماء الاجتماع الإسلامي" في أمريكا وكندا عام 1972م، المؤكدة على إصلاح الفكر أولاً إذا اردنا إصلاح الأمة.

وبعد ذلك بخمس سنوات 1977م انعقدت **الندوة الأولى للفكر الإسلامي** في "لوجانو" بسويسرا، وكان من أهم النتائج التي خلصت إليها الندوة أن الأزمة التي يعانيها العالم الإسلام اليوم أزمة فكرية، وأن العلاج لا بد أن يبدأ من طبيعة هذه الأزمة؛ الأمر الذي تطلب إنشاء مؤسسة علمية متخصصة لدراسة هذه القضية ووضع حلول لها. وبعد هذا بثلاث سنوات 1981م تأسس **"المعهد العالمي للفكر الإسلامي"** حيث أنتخب الراحل "إسماعيل راجي الفاروقي" رئيسا أول للمعهد.

بعدها بسنة فقط 1982م انعقدت **ندوة "إسلامية المعرفة"** في إسلام آباد أثمرت جهودها على تقدم "خطة عمل" قدمها الرئيس الأول للمعهد تحت عنوان **"أسلمة المعرفة"**، حيث نشرت **"مجلة المسلم المعاصر"** ترجمتها العربية في عددها الثاني والثلاثي الصادر في 1982م، وشكلت هذه القضية محورا هاما من محاور هاته المجلة نلمسه في أعداد تلت صدور هذا العدد.

وبعدها بأربعة سنوات 1986م نشر المعهد كتاب **"إسلامية المعرفة: المبادئ- خطة العمل- الانجازات"** وقد أعده بالإنجليزية الشهيد "إسماعيل الفاروقي" وحرر "أبو سليمان عبد الحميد" طبعته العربية المعدلة. حيث قدم هذا الكتاب خطة مشروع "أسلمة المعرفة" التي حاول تكميلها فيما بعد الباحث "طه جابر العلواني" من خلال كتابه **"إصلاح الفكر الإسلامي"** ضمن العدد العاشر من سلسلة "إسلامية المعرفة" الذي صدرت طبعته الثانية عام 1994م، تحت عنوان: **"إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، ورقة عمل"**. وكتاب **"إصلاح الفكر الإسلامي مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلام المعاصر"** الذي صدرت طبعته الأولى عن دار الهادي ضمن سلسلة "قضايا إسلامية معاصرة"، عام 2001م[15].

منطلقات "أسلمة المعرفة" في فكر محمود البستاني:

إن الحديث عن المنطلقات الأساسية التي أقرها "البستاني" في مجال "أسلمة المعرفة" يتطلب في البداية الكلام عن الخلفية الفكرية التي أنطلق منها ليرسم لنا نهج واضح المعالم مختلف عمن سبقه في ذلك.

1- لمحة تعريفية عن محمود البستاني:

أ- الخلفية الفكرية لمحمود البستاني:

ولد البستاني-الملقب بـ(الحاج عبد الحسين أبو الريحة) كما شاء النجفيون أن يطلقوا عليه هاته التسمية- عام 1937م في النجف الأشرف في وسط أسري أمتاز بتقوائية لائقة. وكانت تربطه في بداية حياته علاقات وثيقة برموز الشيعة وأقطابها كما ينقل ذلك عارفوه ومعاصروه، من قبيل:[16].

وربما التسمية التي أطلقت عليه ترجع إلى أنه كان يشغل حانوت صغير لبيع العطور كما لعبت النجف الأشرف عبر مسيرتها التاريخية الطويلة من خلال شخصيات تقوائية دوراً هاماً في نمو الوعي العبادي عنده. والرجل كانت له أخلاق اجتماعية راقية ملؤها المحبة للكل وتلبية حوائج الناس والتوسط لهم عند أصحاب المكانة. كما أن الرجل أيضاً كان شديد التعلق والولاء لأهل البيت خصوصا بالإمام الحسين، بحيث كان يقتسم ربحه اليومي من حانوته الصغير مع الإمام الحسين. كما كان متأثراً بشخصية أبيه وأمه اللذان عمل على تغذية بالخلق الكريم والجدير أن والدته هاشمية تعرف (بآل السرابي) شغل رجالها موقع هامة في ميدان الدرس الحوزي، حيث كان أبيها "السيد حسين السرابي" وأخوها "السيد علي"، وأبنه "السيد كاظم"، كل هؤلاء قد أسهموا في مسار النشاط الفقهي والدراسي في جامعة الفقه الإمامي بالنجف الأشرف[17].

ب- دور الوسط الاجتماعي في وعي البستاني وتفاعله الثقافي:

تأثر البستاني في البدء بالنجف الأشرف كمنارة علمية، وهذا ونلمسه من خلال البعد الروحي والمعرفي في كتاباته، كما تشبع بتعاليم الثقافة العربية والإسلامية مما فتح وعيه للقراءة كمثقف مسؤول حامل لهموم أمته آنذاك، والأكثر من ذلك فقد كان له انفتاح العميق على الثقافات الإنسانية بشتى مستوياتها ومختلف تخومها سواء في ذلك الجانب الموروث منها أو ما يصطلح عليه الحداثة أو الوافد؛ وهذا واضح من خلال كتابه (في النظرية النقدية) حيث قدم فيه نظرية كاملة في مجالات النقد الأدبي من خلال دراسته النقدية لمدارسه واتجاهاته الحديثة من جهة ومن جهة خلال الكتب المقروءة، باللغة الانجليزية، وكذلك الكتب الغربية التي اعتمدها في مشروع أسلمة حقل "علم النفس" و"علم الاجتماع" و"علم التربية"[18].

فكان البستاني نتيجة لتفاعل هاته الظروف في تكوين شخصيته مدرسة فكرية لها خصائ متميزة منها جمالية الذوق وإسلامية المنهج وإبداعية المحتوى[19].

ت- البعد الإنسان في فلسفة البستاني الشاعرية:

المفكر والأديب "محمود البستاني" رغم كونه مفكراً إسلامياً شيعياً بامتياز، فلقد تضامن مع عديد من القضايا الإنسانية في العالم العربي والإسلامي منها: تضامنه مع الشعب الجزائري في محنته ضد الاستعمار الفرنسي مثمناً بطولات الجزائريين، ومنوهاً بفرنسا وجرائمها في قصيدة له بعنوان "ألف مرحى للدماء الذكية"، كما تغنى الشاعر بفلسطين في قصديته "همسات ف ليل الصمت في فلسطين" نظمها عام 1963م[20].

ث- مساره العلمي وأهم مؤلفاته المطبوعة:

تخرج "محمود البستاني" من كلية الفقه بالنجف الأشرف وحصل على شهادة الماجستير سنة 1969م، وفي سنة 1970م عين أستاذاً في كلية الفقه مدرساً لجملة من العلوم منها: (الأدب العربي، والنقد الأدبي...)، ثم حصل على دكتوراه في النقد الأدبي عام 1973م من جامعة القاهرة، هاجر بعدها إلى الجمهورية الإسلامية وسكن في قم، ومشهد ويعمل الآن في مؤسساتها العلمية.

أما بالنسبة للكتابة فالباحث يعد على رأس قائمة الباحثين الإسلاميين، يكتب في الأدب والنقد وعلم الاجتماع وعلم النفس وله مؤلفات كثيرة في ذلك سعى من خلالها لأسلمة العلوم وإخضاعها للمناهج الإسلامية. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب "علم النفس الإسلامي" الذي يدرس في الجامعات، كما يعد عالماً من علماء الفقه الإسلامين حيث كتب دورة فقهية كاملة، بالإضافة إلى نشاطاته الثقافة والفكرية إذ يعد من كبار مفكري النجف والعالم الإسلامي[21]. ومن مؤلفاته المطبوعة أيضاً نذكر أيضاً:

- ✓ تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي.
- ✓ الإسلام وعلم النفس.
- ✓ دراسة فنية في قصـ القرآن.
- ✓ دراسة فنية ف التعبير القرآني في النظرية القصصية.
- ✓ المراسم سلار.
- ✓ البلاغة الإسلامية.
- ✓ الإسلام وعلم الاجتماع.
- ✓ دراسات في عمارة السورة القرآنية.

2- مشروع أسلمة المعرفة عند البستاني:

لقد جاءت اهتمامات الإسلامين متأخرة بعض الشيء في المجالات البحثية الخاصة بالعلوم الإنسانية، ومن الممكن القول أن عقد الثمانينات كان بداية العمل المركزي من خلال انعقاد عدة مؤتمرات من طرف مراكز أكاديمية متخصصة في العالم العربي والإسلامي قدمت محاولات جادة في هذا المجال. إذ نجد من بين هذه المحاولات محاولة الباحث الإسلامي "محمود البستاني" لتقديم مشروع معرفي لنظرية إسلامية مستقلة هدفه تأسيس رؤى إسلامية أصيلة من خلال استجابته لمهمة كلفه بها مجمع البحوث الإسلامية في مشهد.

فالقراءة الأولية لتركة "البستاني" الفكرية تُطلعنا على تخصيه جانب كبير من ابداعاته العلمية والأدبية لأسلمة المعارف الغربية حديثة كانت أم معاصرة خصوصاً منها: (علم النفس، الفن، علم الاجتماع، الأدب...)، حيث وجدها كغيره من المهتمين بأنها علوم متحيزة «تستند إلى قراءة أحادية هي قراءة الكون فقط، وهذه القراءة تجسد حالة فصام حادة، لأنها تستبعد قراءة الوحي التي تتكامل بها قراءة الكون»[22]. لذا دافع الكاتب عن إمكانية "إسلامية المعرفة" إلى جانب التيار القائل بمفروضية إسلامية المعرفة، و بأنها أمر ضروري تفرضه علينا الحياة المعاصرة ولا سبيل أمام الأمة الإسلامية إن أرادت أن تبني حضارتها من جديد، أو تساهم في صنع الحضارة العالمية، إلا أن تقوم بأسلمة المعرفة على أسس من القرآن والمصادر الإسلامية.

وفي مقابل هذا الموقف نجد تياران آخران، أحدهما: رأى عدم ضرورة مشروع الأسلمة، بل قال برفض حاسم لها بدليل أن المصطلح في أساسه هو من وضع المعجبين بالثقافة الغربية الذين رأوا نهج الأسلمة طريقاً لتحقيق أمنياتهم فقط، فالتجأوا إلى تبرير النظريات الغربية من خلال نصوص دينية دون التنظير الإسلامي الأصيل والحقيقي، بل من أجل إزالة المشاعر المضادة للثقافة الغربية. والأسلمة بهذا المعنى تصير تقليد لأفكار البشرية وليس هذا فحسب بل لإضفاء طابعاً إسلامياً على الحضارة العلمانية. وثانيهما: آمن بإمكانية الأسلمة وضرورة القيام بها دون موافقة التيار الأول القائل بسعة إطار ونطاق المعارف العلمية التي يمكن أسلمتها، كما لم ينسجم مع التيار الثاني في رفضه المطلق لها وعدم الإيمان بها مبدئياً[23]. وهذا التيار وقع في التلفيق بدل التوفيق بين التيارين السابقين.

أ- منطلقات الأسلمة عند البستاني:

أن ما قدمه

- ✓ **أولاً:** ضرورة الاعتراف بالأطر التي وضعها الغربيون لأنظمتهم ونظرياتهم المعرفية (علم النفس، علم التاريخ، علم اجتماع...)، حتى نتمكن من مخاطبة الآخرين بلغتهم وتوصيل مبادئ السماء إليهم. ومن هنا تكتسي المعرفة الإسلامية تميزها وتفردها[24].
- ✓ **ثانياً:** أن "**العلوم الإنسانية**" من (فلسفة، نفس، اجتماع، اقتصاد، سياسة، أدب...) بمقدورنا أسلمتها في كل جوانبها كونها تتسم **بالانحياز المعرفي** أي يمكن إخضاعها للبعد الإيديولوجي أو الأخلاقي، عكس "**العلوم الحيادية**" سواء كانت علوم بحتة (كالرياضات)، أو علوم طبيعية (كالفيزياء، أو الكيمياء...)، التي يمكن إخضاع بعضها أو بعض خطوطها لمفهوم الأسلمة ومع ذلك يمكن توظفيها إسلامياً. عكس خطوط "**العلوم الإنسانية**" حيث أكد لنا "البستاني" أن غالبيتها يمكن أسلمتها كون الإسلام يمتلك حيالها تصورات خاصة يمكن أن تلتحم حينئذ مع المبادئ الإسلامية[25].
- ✓ **ثالثاً:** أن هناك نوعان من المعرفة: "**معرفة إسلامية**"، تتمثل في المبادئ التي رسمتها السماء ملتحمة مع المبادئ البشرية في نمطها المجمل والنسبي، وأخرى "**معرفة غير إسلامية**"، كونها محكومة بالخطأ والانحراف، مع تأكيده على أن النظرة البشرية تتسم بالقصور المعرفي عكس النظرة الإسلامية التي تتميز بالكمال المعرفي[26].
- ✓ **رابعاً:** ضرورة ربط تأسيس أسلمة "العلوم الإنسانية" بالنظرة الرشيدة لأئمة المعصومين لأهل البيت وعن طريق فن ربط الكلمات وصياغة الأفكار الجديدة، جعل "البستاني" **للثقافة الشيعية** مقعداً متميزاً في قاعة الثقافة الإنسانية[27].

ب- نهج أسلمة العلوم الإنسانية عند البستاني:

يؤكد "البستاني" على أن هناك ضرورة ملحة في أسلمة بعض "العلوم الإنسانية" خصوصاً "علم النفس، وعلم الاجتماع" كونها تتخلل عصب الحياة جميعاً، وأن الإسلام لم يقدم نظرية خاصة حولها، هذا ما دفع "البستاني" للكتابة عليهما.

- ✓ **أولاً: أسلمة الحقل النفسي:**

لقد قدم "البستاني" محاولة متميزة في مجال أسلمة المعارف، حيث أختار في البداية أسلمة "علم النفس" من خلال محاضرة ألقها في ندوة علم النفس بالقاهرة سنة 1988م، وفيها حاول بناء علم نفس إسلامي على أساس شيعي –والدليل على هذا هو ملء الكتاب بنصوص التشريع الإسلامي بنمطها الكتاب وأحاديث الأئمة المعصومين- حيث طورها فيما بعد في ليصدرها في مؤلف سماه (**دراسات في علم النفس الإسلامي**)[28].

كما أن الباحث لـ أضافات جادة ومتميزة في مجال "علم النفس" نلخصها فما يلي:

- ✓ التعريف الجديد الذي قدمـ "لعلم النفس"، إذ لم يحصر الأمراض بما هو نفسي جسمي، بل جعل الانحراف العقائدي داخلاً في تعريف المرض.
- ✓ طرح في ميدان علم النفس مفهومات ومعاني ذات قيمة منها: (مفهوم الشهوة، ومفهوم العقل).
- ✓ أوضح في الفصل الثاني من الكتاب وجهة نظر الإسلام في مراحل النمو عند الأطفال، معتمدا ف ذلك أحاديث الفقـ الشيعي، مؤكداً في الأخير على عدم انعكاس مرحلة الطفولة على مستقبل شخصية الإنسان.
- ✓ في الفصل الثالث قدم نظريات في حقل الأمراض النفسية ومعالجتها، فحسبـ لا يمكن لأي معالج نفسي الاستغناء عليها.
- ✓ استخدامـ لمنهجية خاصة في ضوء التقويم الإسلامي لعلم النفس سماها "التكيف الفقهي"، ما يعني تكييف المعرفة فقهياً من خلال التلاحم أو الجمع بين رؤى هذا العلم كنتائج من جهة، ورؤى الفقـ الشيعي من جهة أخرى[29].
- ✓ أما من حيث منهجية الدراسات فقد توزع الكتاب على مجلدين: بالأحرى عمل من خلالهما على تأصيل نظريات علم النفس الإسلامي، ففي المجلد الأول، عمل فيـ على تأصيل "نظريات التصور الإسلام النفسي" من خلال نقد "نظريات التصور الأرضي النفسي" من خلال ستة فصول[30]، بالإضافة إلى عناصر متفرقة مثل: يكمل من خلالها التصور الأرضي "للسمات النفسية" المعروفة "بالسمات الشخصية":(كالسمات العقلية، والمزاجية، والذاتية، والاجتماعية، والحيوية) "بسمات تعبدية" لا يمكن أن يتمثلها عالم النفس الأرضي ما دام هذا الأخير منعزلاً أساساً عن أ تصور عبادي للسلوك الإنساني[31].
- ✓ في المجلد الأول تناول ستة فصول، وهو ما يهمنا الحديث عنـ هنا:
- ✓ **الفصل الأول:** تناول فيـ **الأصول النفسية** -للسلوك بالطبع- وفيـ أبطل "النظرية الغريزية" الذاهبة إلى تحديد الأصل المحرك للسلوك بالغرائز، عكس التصور الإسلامي الذي يحدد الأصل المحرك للسلوك بثنائية تتجاذب الكائن الآدمي هما العقل والشهوة، أو الخير والشر توافق مع قول الإمام "علي"-كرم الله وجهـ-«إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب شهوتـ عقلـ فهو خر من الملائكة، ومن غلبت شهوتـ عقلـ فهو شر من البهائم»[32].
- ✓ وفي **الفصل الثاني**، تناول **الأصول النفسية بين الوراثة والبيئة**. مبيناً الأصول الذهنية والأصول النفسية ومناقشاً أراء المدارس الأرضية مثل: مدرسة (الاتجاه الشرطي، والاتجاه

النفسي)، حيث خلـ ـ لنتيجة مفادها أن التصور الإسلامي يقر بدور الوراثة والمحيط في تحديد سلوك الفرد وبناء شخصيتـ، لكنـ يؤكد على دور التنشئة الدينية التي تختط السلوك في ضوء الأصل النفس الذي نرثـ بالقوة، عكس التصورات الأرضية النافية لدور الوراثة، أو البيئة؛ أو المزاوجة بينهما[33].

- ✓ **أما في الفصل الثالث:** تناول **الأصول النفسية ومراـل النمو**، وقد بسط أفكار هذا العنوان في ثلاثة فصول في **الفصل الأول**، عالج مسألة **التحسين الوراثي والبيئي**، حيث صنف الباحث مراحل التحسين بناء على رؤيتـ من النصوص التشريعية إلى خمس مراحل[34] نلخصها في النقاط التالية:

1- **مرـلة الانتقاء الزوجي.**
2- **مرـلة انعقاد النطفة.**
3- **مرـلة الحمل.**
4- **مرـلة النفاس.**
5- **مرـلة الرضاعة.**

كما تناول الباحث في الفصلنفسـ مراحل نمو الشخصية التي حددها علماء الأرض بأربعة:(مرحلة الطفولة المبكرة، مرحلة الطفولة المتأخرة، مرحلة المراهقة، مرحلة الراشدة)، أما الحديث عن موضوع الطفولة فقد طواه كلامـ من خلال مرحلتين هما: **مرـلة الطفولة المبكرة، ومرـلة الطفولة المتأخرة**. حيث أكد "البستاني" توافق التصور الإسلامي مع بعض التصورات الأرضية حيال المراحل المذكورة، لكن يبقى هنا تميز للتصور الإسلامي على التصورات الأرضية، مستدلاً على ذلك بالتأكيد على الطفولة المتأخرة من حيث انعكاسات على الشخصية الموسومة بالطابع التعليمي عكس مرحلة الطفولة المبكرة الموسومة باللعب[35].

كماتناول أيضاً **المرـلة الراشدة، التي** تمثل حقل مهم جداً هو **مرـلة المراهقة**، وكانت من أهم النتائج التي توصل إليها هو تحذير التشريع الإسلامي في تصوراتـ من خطورة الآثار المترتبة عن عدم نجاح المرحلة الثانية من مراحل الطفولة للاستفادة منها في حقل التربية والتعليم؛ لأن قضية التعليم ستسحب أثارها على هذا الجانب[36].

والباحث في الأخير يؤكدمن خلال كلامـ عن المفارقات العلمية بين تصنيف التصور الأرضي وتصنيف التصور الإسلامي إن الرؤية الصائبة ترجع للتصور الإسلامي مقابل نظيره الأرضي إلى لفت انتباه الأبويين وأولياء أمور الأطفال والمراهقين إلى مراعاة هذا الجانب، واستثمار مرحلة الطفولة

المتأخرة والمراهقة في التدريب على السلوك الإسلامي على جميع الصعد حتى يختزلوا متاعب المرحلة الراشدة بما يواكبها من بيئة تعج بالمثيرات والاحباط وما يجرانه من صراع وتمزق وانحراف...[37].

- ✓ أما في **الفصل الرابع، والخامس:** فقد تكلم عن **الأصول النفسية والأمراض واتجاهات علاجها**. وكانت للباحث إضافة في هذا المجال تتمثل في "المرض الفكري أو العقيدي"، حيث لم يكن موجوداً ضمن تقسيمات المرض السابقة، رغم أنه يُشكل درجة عالية من الخطورة في التصور الإسلامي. كما أكد على تجاوز التفسير الإسلامي التفسير الوضعي للمرض المنحصر في أسباب دنيوية إلى التفسير العبادي بصفته تفسيراً للحقيقة المطلقة لوجود الإنسان على هاته الأرض[38].
- ✓ **وفي الفصل السادس:** تكلم فيه الباحثعن **النظريات الأرضية** حيث انتقادها ليؤسس نظريات مقابل هاته النظريات الأرضية، نحتصر ذلك كما يلي:
- ✓ **نظرية الانتماء الاجتماعي** فكرتها الأساسية مفادها أن (الحماية توفرها الجماعة البشرية)، تقابلها **نظرية الانتماء إلى الله** القائمة على فكرةمفادها أن (السماء هي المصدر الوحيد لحماة الكائن الآدمي)[39].
- ✓ **نظرية التقدير الاجتماعي** تقابلها **نظرية التقدير الإلهي.** كما طرح الفصل موضوعات أخرى بشكل أكثر تميزا مثل: (الحاجة إلى التملك، الحاجة الجمالية، الحاجات الأمنية، والدوافع الحيوية، وطرائق تنظيمها والأحلام وتقسماتها...)[40].
- ✓ **<u>ثانياً: أسلمة الحقل الاجتماعي:</u>**

نلمسها من خلال كتابه **(الإسلام وعلم الاجتماع)**، إذ حاول من خلاله أسلمة حقل الاجتماع بأدلوجة شيعية أيضاً مثلما فعل مع حقل علم النفس، حيث أطلع على نصوص قادة التشريع الإسلامي- أي الأئمة المعصومين- والتي من خلالها أراد تأصيل فرع من فروع العلوم الإنسانية.

حيث حفل الكتاب بأربعة فصول قدم من خلالها أهم تصورات المذاهب الاجتماعية الحديثة وما يرادفها من نظريات في الفكر الإسلامي من حيث القبول، أو التحفظ، أو التأسيس الذي يتميز به التصور الاسلامي بشكل خاص:

- ✓ في **الفصل الأول**: تحت عنوان **علم الاجتماع وقضاياه**، تكلم فيه عن خارطة علم الاجتماع المعاصر، كما تناول قضايا مهمة في علم الاجتماع مثل:(علم الاجتماع والالتزام، وماهية علم الاجتماع، حيث تطرق بعدها لعنصري الظواهر والعلاقات العامة موضحاً أساليب المعالجة وفق التصوريين البشري والاسلامي). ومن أهم النتائج التي خلـ ـه لها الباحث هو تقديمه

لتعريف جديد لعلم الاجتماع مفاده أن علم الاجتماع يعني: «دراسة الحياة المشتركة بين الناس»[41].

- ✓ أما **الفصل الثاني:** بعنوان **علم الاجتماع والحياة المشتركة**، تناول فيه مواضيع لا تقل أهمية عن ما سبق في أسلمة حقل علم الاجتماع مثل: (مبدأ التعايش، مبادئ التوازن الاجتماعي، المسؤولية الاجتماعية، المسؤولية والضبط الاجتماعي، التكيف الجزائي للمجتمعات)، حيث قدم نظرة التصور الاسلامي لكلا منها مقابل التصور الأرضي[42].
- ✓ **والفصل الثالث**: كان عنوانه **الأفعال المشتركة**، تناول فيه عدة أفعال مثل: (التعاون، التنافس، الصراع، الانسحاب، التكيف) بمستواها الإيجابي والسلبي في الحياة المشتركة بين الناس مع تحديد القيم الإيجابية المفضية إلى التوازن الاجتماعي والقيم السلبية المفضية إلى تحقيق التفكك الاجتماعي؛ من خلال المقارنة بين التصورين الأرضي والإسلامي[43].
- ✓ **وفي الفصل الرابع:** المعنون **بتنظيم الحياة المشتركة**، تناول فيه هياكل الحياة وطرائق تنظيم مؤسساتها بصفة عامة من مثل: **العلاقات الخاصة:** التي تندرج ضمنها جملة من الروابط الاجتماعية كـ (الأسرة، الصداقة...)، **والعلاقات الثقافية:** التي تتضمن أشكالاً اجتماعية مختلفة كجماعة (المجلس، الدرس، والذكر...)، بالإضافة إلى علاقات أخرى كـ (**العلاقات العشائرية، العلاقات النفعية**...وغيرها).

أما فيما تعلق بالمؤسسات التنظيمية في الحياة المشتركة بين الناس، فقد تناول **المؤسسة الاقتصادية، والمؤسسة السياسية** (الدولة)، من حيث التنظيم والوظائف والعلاقات مع المتبادلة بين الدولة ورعاياها، والعلاقات الخارجية، والعلاقات مع الأقليات...وغيرها.

والباحث في تناوله لموضوعات هذا الفصل لم يهمل الخلفية الفكرية الإسلامية المتمثلة في التشريع الإسلامي للأئمة المعصومين أيضاً، فعندما تناول مشروعية الدولة، رأى أن التشريع إسلامياً ظل منحصراً في مبادئ الله تعالى أي لا وجود لنخبة مشرعة، بل نخبة تقوم بعملة توصيل لمبادئ الله تعالى، متمثلة في المعصوم (...) في عصر الحضور، وفي الفقهاء في عصر الغيبة، حيث يجسدون الولاية أو النيابة العامة التي تنحصر مهمتها في توضح المبادئ من خلال اجتهاداتهم المستقاة من النصوص الإسلامية، وهذه النصوص أو التشريعات بمثابة مبادئ ثابتة من قبل الله سبحانه، بحيث تتناول ما هو مستحدث من الظواهر التي تفرضها عمليات التغيير الاجتماعي[44].

✓ **ثالثاً: أسلمة المقل الفن:**

وهذا نلمحه من خلال مؤلفه **(الإسلام والفن)**، حيث أوضح فيه الجانب التطبيقي للبعد الفني، إذ بين فيه طبيعة الطرائق المعتمد عليها في عملية الصاغية الفنية، وكيفية تحقيق عنصر الإثارة في القارئ. كما أوضح أيضاً أنماط الاستجابة عند المتلقي من حيث بناؤه النفسي. وما يدل على الجانب التطبيقي للبعد الفني أكثر ما نجده ضمن مؤلفيه: **(تاريخ الأدب العربي)**، و**(القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي)**. فقد حفل الكتابان بموضوعات فنية نقدية كثيرة يمكن الوقوف عندها[45].

كما أن الباحث طرح قضية الأدب والفن من وجهة النظر الإسلامية مقارنة بوجهة النظر الأرضية في مختلف الظواهر المرتبطة بمفهوم الأدب وعناصره وتياراته ومناهج دراسته، مضاف إليها الظواهر المرتبطة بالأشكال الفنية مثل النحت والتصوير و الموسيقى وغير ذلك من أنماط التعبير الفني التي يمتلك الإسلام حاليها تصوراً خاص يختلف عن تصورات الأرض من حيث حظره أو التحفظ عليه، أو إباحته[46].

وتتضح لنا الفكرة الأساسية لكتابه (الإسلام والفن) في المحور الثاني والمتسم بعنوان التالي: الفن والالتزام، بعد أن حدد لنا في المحور الأول مفهوم الفن، أنتقل في المحور الثاني ليوضح لنا مفهوم الالتزام وعلاقته بالفن في مجمل التصورات الأرضية والتي أقرت علاقة الفن بالالتزام أو رفضتها. وكلا الاتجاهين يختلف عن التصور الإسلامي لعلاقة الفن بالالتزام.

فالباحث يؤكد إن« تحديد معالم الالتزام الاسلامي وافتراقه عن التصورات الأرضية، وهي تصورات لا حظنا مدى خبطها في تحديد وظيفة الفن ثم انشطارها إلى تيار ملتزم ترفده خلفية فلسفية منعزلة عن السماء، وتيار لا يعنى بالفن إلا من خلال كونه وسيلة لإشباع الحس الجمالي الصرف عند الإنسان (...)»[47].

و"البستاني" يرى أن هذه الاتجاهات بنمطيها لا تتوافق مع التصور الإسلامي الذي ينطلق في ممارسته للفن من مفهوم عبادي خاص، هو أن الإشباع الجمالي الصرف لا قيمة له البتة مالم يقترن بهدف يتحدد وفق مبادئ الإسلام وهذا يعني أن قضية الالتزام في الفن أمر مفروض وأن السؤال الأرضي القائل: **هل الفن للحياة أم للفن؟** لا معنى له في التصور الإسلامي مادام الفن وسائر أنماط الممارسات موظفة من أجل تحقيق المهمة العبادية في الأرض.

وبالتالي نجد أن البستاني قد غير السؤال السابق إلى الشكل التالي: **ماهي إمكانات الفن في تحقيق المهمة العبادية التي خلقتنا السماء من أجلها؟ هل يمتلك الفن قدرات توصيلية ذات بال بحيث تحقق تأثيره المطلوب في الأعماق، وما هي نسب ذلك؟**

أهم الانتقادات و التأييدات المقدمة لمشروع "أسلمة المعرفة" عند محمود البستاني:

من المؤاخذات التي تم تسجلها على الباحث هي انعدامية وجود تعريف خاص "لمشروع الأسلمة" عند الباحث عكس الباحثين الآخرين، ورغم الملاحظات التي سجلها على تعاريف "أسلمة المعرفة" المتمثلة فيما يلي: كل التعاريف تكرس تأكيدية الجانب الديني التوحيدي في انتاجية هذه العلوم، بالإضافة إلى ارتكابهم خطأ منهجي تمثل في وضع مدارس العلوم الإنسانية في خانة واحدة للنظر إليها ككل مشترك لا تمايز جوهري فيه، مادام منطلقاً من دائرة الفلسفة اللاإلهية الشيخ محمد الساعدي.(2000).[48].

أما فيما يخ ه الشاهدات التي تؤيد مسعى "البستاني" في تأصيليته المعرفية نذكر هنا:

يقول الباحث "محمد مهدي الآصفي"- الذي عرف البستاني منذ كان شاب طموحاً في بعض الأوساط الفكرية والثقافية للنجف الأشرف-: «وقد تحول ذلك الشاب الطموح خلال أربعين سنة من عمره المبارك إلى أعمال فكرية وثقافية إسلامية وقرآنية قيمة وجليلة في أسلمة المعرفة الإنسانية في حقول النفس والاجتماع والفن...وقد وفقه الله تعالى خلال هذه الفترة من عمره المبارك لخدمات علمية جليلة في حقول عديدة من المعرفة الإسلامية، ولا سيما في حقول البيان والنقد والدراسات الأدبية»[49].

وإلى جانب هذا الموقف نجد موقفاً آخر للباحث "زهير الأعرجي" - الذي عاش مع "البستاني" في كتبه وأفكاره وشخصه أجمل اللحظات- يتلخ ه في كون يرى أن "البستاني" قد ربط تأسيس العلوم الإنسانية بمبادئ الأئمة المعصومين- يقول: «جعلنا ننظر إلى التاريخ الأدبي من زاوية العين الرشيدة المعصومة لأئمة أهل البيت -عليهم السلام-لا من زاوية عيون الطغاة والظالمين (...) ووضع لنا صورة الإنسان المثقف بإطارها الفكري البعيد عن الحواجز العرقية الضيقة»[50]. وبهذا جعل "البستاني" للثقافة الأدبية الشيعية مقعداً متميزاً في قاعة الثقافة الإنسانية.

فحين نجد شهادة الأديب "ضياء موسى" الذي يعد "البستاني" من كبار مفكري النجف الأشرف والعالم الإسلامي يقول: «محمود البستاني واصل حياته شاعراً، ناقداً، مفكراً، أستاذاً جامعياً، مفسراً لكتاب الرحمن الرحيم، متهجداً في محراب العبادة، كل مؤلفاته متوهجة بجمرات الإبداع (...)» [51].

خاتمة:

أن السير في طريق النهضة لا يمكن أن يوجد إلا بعد معرفة الإنسان معنى وجوده في الحياة، حتى يستطيع أن يكون مفاهيم صحيحة عنها، أي حتى يعرف كيف ينظم علاقته ويحدد سلوكه، ويشبع جوعاته التي لابد وأن تكون مصداقاً لقوله تعالى-في سورة الأنعام الآية تسعة وسبعين-:﴿إِنِّي وَجَّهتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقوله أيضاً-في سورة نفسها الآيتان مائة واثنان وستين ومائة وثلاثة وستين-:﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، وهذا يدل على أهمية البعد العلمي وصلته بقضية الالتزام الإسلامي باختلاف عقائده حيث تنكشف لنا مشكلة العلوم التي يحييها الغرب والشرق فيما يتوزع ممثلوها بين:(اللامبالاة، ومعادة المعرفة، وخدمة المعسكرين المنحرفين الغربي والشرقي).

وإسلامياً يبقى الباحث في اعتقاد "محمود البستاني" بمنأى عن أمثلة هاته المشكلات التي تواجه عالم الأدب، وعالم النفس، وعالم الاجتماع، وعالم الفن أيضاً؛ لأن الالتزام الذي ارتبطت به هذه العلوم عند أهل الغرب، أو الشرق لم يتحدد وفق مبادئ الإسلام – ويقصد هنا مبادئ الإسلام الشيعي-. لذلك تنفصل في جوهر نتائجها المعرفية الأبعاد المادية عن الأبعاد الروحية من هذا المنظور، مما يستوجب عكس ذلك؛ أي أن تكون هنالك تكاملية بين هاته الأبعاد، تبنى عليها تكاملية معرفية ومنهجية عن الإنسان في شتى أبعاده المختلفة. وعليه نواجه تساؤلاً آخر يطرح إذا تحقق ذلك، مفاده البحث:

- عن حقيقة التكامل المعرفي بين العلوم إذا توحد هدف التزامها تِبَعاً لمبادئ دين الإسلام – الشيعي-، وهل بالضرورة ينتج عن ذلك التكامل المعرفي تكاملاً معرفياً عقائدياً داخل الدين الإسلامي ذاته أم لا؟

الهوامش والإحالات:

[1]-إسماعيل راجي الفاروقي.(1983).أسلمة المعرفة، المبادئ العامة وخطة العمل. الكويت/الكويت. دار البحوث العلمية.ص33.

[2]-محمد أبو القاسم حاج حمد.(2003).منهجية القرآن المعرفية، أسلمة العلوم الطبيعية والانسانية.لبنان/بيروت. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع. ص31.

[3]- طه جابر العلواني.(1996).إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، ضمن سلسلة إسلامية المعرفة، مصر/القاهرة. المعهد العالم للفكر الإسلامي. ص9.

[4]-عماد الدين خليل.(2006). مدخل إلى إسلامية المعرفة، سوريا/دمشق. دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع. ص9.

[5]-مجموعة مؤلفين.(2008). إشكاليات التعارض وآليات التوحيد، العلم والدين من الصراع إلى الأسلمة. لبنان/بيروت. مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي. ص308.

[6]-أبو القاسم حاج حمد.(2003). إسلامية المعرفة. لبنان/بيروت. الشويفات. ص4.

[7]-سعيد عبيدي.(دس). أسلمة المعرفة والمشروع. (23:24، الجمعة31 ماي2019). من الموقع الالكتروني: www.culture.gov.jo/sites/default/files/page49.pdf .ص(49-52).

[8]-حجاج أبو جبر، هل يمكن أسلمة المعرفة، قراءة في استقبال عبد الوهاب المسيري، (23:24، الجمعة31 ماي2019) من الموقع الالكتروني: https://fairforum.org/research/43/.ص44.

[9]-مجموعة مؤلفين. إشكاليات التعارض وآليات التوحيد، العلم والدين من الصراع إلى الأسلمة. مرجع سابق. ص325.

[10]-طﷺ جابر العلواني. إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم. مرجع سابق. ص 12.

[11]-المرجع نفسﷺ، ص(15،16).

[12]-المرجع نفسﷺ، ص18.

[13]-المرجع نفسﷺ، ص(31-32).

-المرجع نفسﷺ، ص (19-27). [14]

[15]-مجموعة مؤلفين، إشكاليات التعارض وآليات التوحيد، العلم والدين من الصراع إلى الأسلمة، ص(312-314). أنظر أيضاً: سعيد عبيدي، أسلمة المعرفة والمشروع، مرجع سابق، ص50.

[16]-الشيخ محمد الساعدي.(2000). الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، إضاءات نقدية في ضوء مشروع أسلمة العلوم الإنسانية، دك/دم. مطبعة أمير ص (21-22).

[17]-المرجع نفسﷺ، ص23.

[18]-المرجع نفسﷺ، ص27.

[19]-المرجع نفسﷺ، ص211.

[20]-المرجع نفسﷺ، ص(213،215).

[21]-المرجع نفسﷺ، ص(213،214).

[22]-سعيد عبيدي، أسلمة المعرفة والمشروع، مرجع سابق، ص49.

[23]-مجموعة مؤلفين، إشكاليات التعارض وآليات التوحيد، العلم والدين من الصراع إلى الأسلمة، مرجع سابق، ص(330-334).

[24]-المرجع نفسﷺ، ص377.

[25]-المرجع نفسﷺ، ص(335-336).

[26]-المرجع نفسﷺ، ص(339-340).

[27]-الشيخ محمد الساعدي. الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، إضاءات نقدية في ضوء مشروع أسلمة العلوم الإنسانية، مرجع سابق. ص210.

[28]-المرجع نفسﷺ، ص(41،42).

[29]-المرجع نفسﷺ، ص43.

[30]-يراجع: محمود البستاني.(1988). دراسات في علم النفس الإسلامي. مج1، لبنان/ بيروت. دار البلاغة للطباعة والنشر.

[31]-يراجع:محمود البستاني.(1988). دراسات في علم النفس الإسلامي. مج2. لبنان/بيروت. دار البلاغة للطباعة والنشر.

[32]-محمود البستاني، دراسات في علم النفس الإسلامي، مج1، مرجع سابق، ص 14.

[33]-المرجع نفسه، ص 43.

[34]-المرجع نفسه، ص (47- 48).

[35]-المرجع نفسه، ص79.

[36]-المرجع نفسه، ص104.

[37]- المرجع نفسه، ص118.

[38]-المرجع نفسه، ص(156-157).

[39]-المرجع نفسه، ص(200-201).

[40]-المرجع نفسه، ص(208-290).

[41]-محمود البستاني.(1994).الإسلام وعلم الاجتماع. لبنان/ بيروت. مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر. ص29.

[42]- المرجع نفسه، ص(69-116).

[43]-المرجع نفسه، ص (125-161).

[44]-المرجع نفسه، ص222.

[45]-الشيخ محمد الساعدي، الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، إضاءات نقدية في ضوء مشروع أسلمة العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص63.

[46]-محمود البستاني.(1992). الإسلام والفن. لبنان/بيروت. مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر. ص5.

[47]-المرجع نفسه، ص5.

[48]-الشيخ محمد الساعدي، الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، إضاءات نقدية في ضوء مشروع أسلمة العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص(39،40).

-المرجع نفسه، ص209.[49]

[50]-المرجع نفسه، ص210.

[51]-المرجع نفسه، ص212.